مجموعة مؤلفين

نحو معجم تاريخي للّغة العربية

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفصل الأول

الإطار التصوري والمنهجي
لمشروع المعجم التاريخي للُغة العربية

عز الدين البوشيخي
ورشيد بلحبيب
ومحمد العبيدي

مدخل

يتضمن هذا العرض الإطار التصوري والمنهجي لإنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية، من دون التطرق إلى التفاصيل؛ وقد انبنى على اطلاع واسع على التجارب الأجنبية والعربية، الناجحة والمتعثرة[1]، وعلى خلاصات الدراسات والأبحاث المقدَّمة في المؤتمرات وغيرها[2]. وقد مكّن تقويم تلك التجارب والدراسات من تبيُّن ملامح خطة لإنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية، قابلة للتنفيذ، ومحققة للهدف، ومتسمة بالمرونة اللازمة.

أولًا: أهمية المعجم التاريخي للُّغة العربية وموجباته

ليس مقبولًا أو معقولًا أن تظل اللغة العربية من دون معجم يوثق ألفاظها ودلالات هذه الألفاظ والتحوُّلات التي طرأت عليها طوال حياتها، وأن تظل متأخرة عن نظيراتها من اللغات العالمية في هذا المجال؛ وهي اللغة التي

---

(1) نذكر من التجارب العربية محاولات فيشر، ومجمع القاهرة، واتحاد المجامع اللغوية، والجمعية المعجمية التونسية، ومعهد الدراسات المصطلحية في فاس.

(2) أهمها: أبحاث مؤتمر تونس في عام 1989، المنشورة في: المعجم العربي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989 (تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991). أبحاث مؤتمر فاس المنعقد في عام 2010، المنشورة في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، انظر أيضًا: محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، 2008)، وعبد العزيز بن حميد الحميد، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي: دراسة وتقويم، سلسلة الرسائل الجامعية؛ 126، 2 ج (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2012).

لا تكاد تناظرها لغة أخرى في امتدادها الزماني، واتساعها الجغرافي، وموروثها الحضاري.

علـى الرغم من ضخامة المجهـود المعجمي العربي، فـإن الأمة العربية ما تزال في أمسّ الحاجة إلى بناء «ذاكرة» للغتها، ترصد ألفاظها لفظًا لفظًا: متى كانت ولا دته واسـتعماله؟ بأي دلالة اسـتُعمل أوّل مرة؟ ماذا طرأ عليه طوال حياته من طوارئ في البنية والدلالة والاسـتعمال؟ إذا أُهمل فمتى أُهمل؟ وإذا تحول مصطلحًا فبأي مفهوم؟ وفي أي علم أو معرفة؟ ومتى؟

إذا كان المعجـم التاريخي للُّغة العربية يرصد هـذه التطورات كلها؛ فإنه بذلك يرصد أيضًا التطـورات الفكرية والعلمية التي عرفتهـا الأمة العربية في تاريخها. ويتيح ذلـك الرصد فهم تراثنـا الفكري والعلمي بـدلالات ألفاظه ومفاهيم مصطلحاته التي استُعملت بها في سـياقاتها التاريخية والثقافية. فكم من لفظ اسـتُعمل في تراثنا الفكري والعلمي بدلالة لم تَعد له الآن. وفي غياب معجم تاريخي للُّغة العربية لا نسـتطيع الحد من كثير من سوء الفهم وانحراف التأويل وفساد الاستنباط الواقع في قراءة تراثنا الفكري والعلمي.

بذلك يصح القول إن تأليفَ معجم تاريخي للُّغـة العربية لا يماثله تأليفُ أيّ معجـم أو كتاب، وإن حاجة الأمـة العربية إلى هـذا المعجم هي حاجتها بالضبط إلى «ذاكـرة» للغتها وفكرها، وهي حاجتها بالضبـط إلى ميزان تزن به فهومها لتراثها وأحكامها عليه.

يمكن إيجاز موجبات إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية في ثلاثة على الأقل:

- الموجب العلمي

من أهم الموجبات العلمية سـدّ ثغرة غياب معجـم تاريخي للُّغة العربية، ويتحقق بذلك رصـد التطور الدلالي للُّغـة العربية عبر عصورهـا التاريخية، وفهم التراث المعرفي والعلمي فهمًا صحيحًـا بفهم دلالات الألفاظ ومفاهيم

المصطلحات في سياقاتها التاريخية، وسدّ الفجوة المعجمية الناتجة من قصور المعاجم العربية عن مواكبة التطور اللغوي.

من الموجبات العلميـــة أيضًا، اســـتيعاب ألفاظ اللغة العربيـــة في مدوَّنة معجمية واحـــدة، وتوفير المـــادة اللغوية الكامنـــة للوفاء بحاجـــات الترجمة والتعريب، وخدمة اللغة العربية في مستوياتها المتعددة.

- الموجب القومي

يكمن الموجب القومي أساسًـــا في حماية تراث الأمـــة اللغوي والفكري والعلمي، والمســـاهمة في توحيد الأمة بتوحيد لغتها، وخدمـــة الهوية اللغوية العربية.

- الموجب الحضاري

يتعلق الموجب الحضـــاري بالارتقاء باللغة العربية إلـــى مصاف اللغات العالمية الحية، اقتـــداء بأكثر لغات العالم التي تملـــك معاجم تاريخية متجددة مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإســـبانية والروسية، وعرض الإنجازات الفكرية والعلميـــة للأمة عبر تطورها التاريخي، ووصـــل حاضر الأمة بماضيها وتراثها.

ثانيًا: الجدوى من إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية

إن الجـــدوى من إنجاز المعجـــم التاريخي للُّغة العربيـــة متعددة الأوجُه، يمكن حصرها في عناصر ثلاثة:

الأول: تمكين الأمة من فهم لغتها فـــي تطوراتها الدلالية على مدى ثمانية عشـــر قرنًا على الأقـــل، وتحصيل الفهم الصحيـــح لتراثها الفكـــري والعلمي والحضاري، بإدراك دلالة كل لفظ بحسب ســـياقه التاريخي، ووصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغوية والفكرية والعلمية.

الثاني: توفير عـــدد من المعاجم الفرعية التي تفتقـــر إليها المكتبة العربية،

مثل المعجم التاريخي لألفاظ الحضارة (الصناعات والحرف والعمارة...)، والمعاجم التاريخية لمصطلحات العلوم (الطبية والفيزيائية والفلكية والرياضية والجغرافية والفلسفية والشرعية والنحوية والبلاغية...) والمعجم الشامل للغة العربية المعاصرة، والمعاجم اللغوية التعليمية.

الثالث: تمكين الباحثين من إعداد دراسات وأبحاث متعلقة بتقويم تراثنا الفكري والعلمي في ضوء ما يتيحه المعجم التاريخي من معطيات جديدة، واستثمار المدوَّنة اللغوية العربية في إنجاز عدد من البرامج الحاسوبية الخاصة بالمعالجة الآلية للغة العربية، مثل المحلل الصرفي، والمدقق النحوي، والمحلل الدلالي، والترجمة الآلية، وغيرها؛ إذ إن المدوّنة اللغوية الضخمة ستتيح تطوير هذه البرامج تطويرًا واضحًا.

ثالثًا: مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية

يكتسي تحديد مفهوم المعجم التاريخي للُّغة العربية أهمية قصوى؛ إذ يُبنى على هذا التحديد عدد من الخطوات الإجرائية والمنهجية. ويؤدي عدم الوضوح في تحديده إلى عدم وضوح الرؤية في إنجازه.

المعجم التاريخي للُّغة العربية، في هذا التصور، هو معجم يرصد دلالة ألفاظ اللغة العربية في حياتها. إنه المعجم الذي يتضمن «ذاكرة» كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية، وهي تسجِّلُ، بحسب المتاح من المعلومات، تاريخَ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخَ تحولاته الدلالية، ومكانَ ظهوره، ومستعمليه في تطوُّراته ما أمكن ذلك، مع توثيق تلك «الذاكرة» بالنصوص التي تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها.

بهذا التحديد، تخرج من دائرة المعجم التاريخي للُّغة العربية كل المعلومات التي لا تتعلق تعلقًا مباشرًا بموضوعه وبالهدف الذي وُضع من أجله. ليس المقصود إذن وضع موسوعة لغوية توغل في سرد المعلومات النحوية والصرفية والبلاغية والصوتية وغيرها، حتى إن رُوعي في سردها

الترتيب التاريخي؛ إذ إن عملًا من هذا القبيل يتجاوز موضوع المعجم التاريخي ولا يحقق الهدف المتوخى منه أصلًا.

ويتمثّل الهدف المتوخى من المعجم التاريخي بإثبات اللفظ ودلالته الأولى، والتغيرات الدلالية الطارئة عليه على مرّ العصور، معزَّزة بالنصوص الدالة عليها، موثَّقة بالمعلومات الضرورية. فإن ظهر لفظ عربي بدلالة واحدة استقر عليها، يُكتفى بإيراده مرة واحدة، وإن طرأ عليه تغييران اثنان يذكَر مرتين، وإن طرأت عليه ثلاثة تغييرات يذكَر ثلاث مرات... وهكذا؛ إذ يُحرص كل الحرص على ألّا يكرَّر ذكر اللفظ إلا إذا تغير معناه في الاستعمال، وبحسب عدد التغيرات الطارئة عليه فحسب، ولا داعي إلى حشر المواد والمعلومات والاستشهادات التي تتجاوز تحقيق الهدف المتجلي في رصد التطورات الطارئة على اللفظ.

رابعًا: المعجم التاريخي للُّغة العربية معجم مفتوح

على الرغم مما يمكن بذله من جهد لاستقصاء دلالة الألفاظ في نصوصها وسياقاتها، فإنه لا يمكن الإحاطة الشاملة بتلك الدلالات بسبب عدم إعداد النص العربي الإعداد العلمي الذي يسمح باعتماده واستثماره؛ إذ بالنظر إلى الثروة الهائلة من ألفاظ اللغة العربية واتساع نطاق استعمالها وامتداد زمان وجودها، فإن احتمال ظهور استعمال جديد للفظ من ألفاظها لم يُرصد في المعجم التاريخي للُّغة العربية يظل قائمًا، فإن ثبت استعمال لفظ بمعنى غير مرصود من قبلُ، وجبت إضافته في مكانه الملائم من المعجم، ويجب أن يظل هذا الاحتمال قائمًا لا يتوقف في مرحلة من مراحل الإنجاز، ولا بعده. وكذلك شأن كل لفظ تبين أن له معنىً جديدًا لم يُرصد في المعجم، استُدرك إما باكتشاف مخطوط عربي لم يُكشف عنه من قبل، أو بتحقيق مخطوط ظل مغمورًا بعيدًا من أيدي الناس، كل ذلك يوضع في مكانه المناسب من المعجم بحسب تاريخه. تُضاف إلى ذلك المعاني التأثيلية للألفاظ العربية بالنظر إلى جذورها في اللغات الساميّة.

خلاصة ذلك سدّ الثُغَر باستدراك أمور ثلاثة:

- ما ظهر من جديد لم يُرصد في المنجز من المعجم.

- ما ظهر من جديد في مخطوط جرى اكتشافه أو تحقيقه.

- ما ظهر من جديد باكتشاف ما يربط بين اللغة العربية الفصحى وأخواتها من اللغات الساميّة.

علاوة على ذلك، يُعنى بالمواكبة المستمرة للتطورات الطارئة على اللغة العربية في ألفاظها، وهو مطلب ضروري يساير ما يطرأ على الفكر العربي من تغيُّر: فسدُّ الثُغَر يتصدى لاستدراك كل الموجود من الألفاظ المستعملة بمعانيها المختلفة على مرّ العصور، والمواكبة المستمرة تتصدى لرصد كل تغير في اللفظ والمعنى، فيُدرَج في المعجم. وبالمعنيَين السابقَين، يكون المعجم التاريخي للُّغة العربية معجمًا مفتوحًا غير مغلق.

خامسًا: مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية

هناك اختيارات متعددة في تحديد منطلق المعجم التاريخي، أهمها الانطلاق من أقدم نص عربي موثق إلى أحدث نص. يتطلب ذلك بناء مدوَّنة لغوية شاملة تتضمن النصوص العربية الفصيحة، الورقية والإلكترونية، منذ أقدم نصٍّ إلى نهاية عام 2000. وتظل المدوّنة مفتوحة لكل ما سَيُحقَّق من مخطوطات، وما سيُكتشف من النقوش والبرديات... كما ستظل مفتوحة لما سيُطبع من نصوص حديثة.

يتطلب ذلك الإفادة من المدوَّنات الإلكترونية المنجزة، ورقمنة المؤلفات والمنشورات التي لم تحوسَب من قبل، مع استثمار المنجز من الأعمال الخادمة للمعجم التاريخي عن طريق:

- الإفادة من المعاجم اللغوية والاصطلاحية المنجزة.

- الإفادة من الأطروحات والرسائل الجامعية.

- الإفادة من مشاريع المؤسسات والأفراد.

يقتضي تحقيقُ ذلك أمرين: **أولهما** القيام بدراسة مسحية لمدوَّنات اللغة العربية التي أنجزها العرب أو الأجانب. **وثانيهما** تطوير هذه المدوَّنات، بعد بحث صيغ التعاون مع مالكيها، بما يخدم المعجم التاريخي.

سادسًا: الجذاذة

على أساس التحديد السابق لمفهوم المعجم التاريخي للُّغة العربية، والأهداف المتوخاة منه، فإن المدخل المعجمي لمواده ينبغي ألّا يتضمن إلّا المعلومات التي تنسجم مع مفهومه وأهدافه، وألّا تُحشَر فيه كل أنواع المعلومات التي نجدها في المعاجم الموسوعية أو غيرها من المعاجم اللغوية غير التاريخية. فتكون الجذاذة، بناء عليه، مصممة وفق الآتي:

- **اللفظ**: (جذره - مقولته - ضبطه)

- تعريفه

- شاهده

- توثيقه (تاريخ استعماله - مستعمله - مصدره...)

- **المصطلح**: (جذره - مقولته - ضبطه)

- مجاله المعرفي

- مفهومه

- شاهده

- توثيقه (تاريخ استعماله - مصدره - مستعمله...)

من المعلوم أن مدخل المصطلح يختلف عن مدخل الكلمة، خصوصًا في عنصرين مهمين: المجال العلمي أو المعرفي الذي ينتمي إليه المصطلح بما أن

مفهومه يتحدد داخله، والتعريف المصطلحي الذي يختلف عن تعريف الكلمة، بحسب ما هو مقرر في الصناعة المعجمية والصناعة المصطلحية.

سابعًا: منهج العمل ومراحل الإنجاز

يسير منهج العمل على النحو الآتي:

- إعداد بيبليوغرافيا شـــاملة لمصادر المعجم التاريخي بحسب المراحل الزمنية المحددة.

- بناء مدوَّنة لغوية شـــاملة، مـــا أمكن، لكل مرحلة مـــن المراحل الزمنية المحددة.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية العامة.

- تهيئة المدوَّنة النصية للمعالجة.

- معالجة المداخل المعجمية والمصطلحية.

يُعتمد في كل مراحل الإنجاز على الإفادة القصوى من التقنيات الحاسوبية عن طريق:

- بناء برامج حاسوبية خادمة للمعجم.

- تصميم جذاذة إلكترونية.

- بناء مرصد إلكتروني لتجميع الأعمال ومعالجتها.

تقتضي الضرورة المنهجية والإجرائية تقسيم العمل إلى مراحل، نظرًا إلى المدى الزمني الممتد على مدى ثمانية عشـــر قرنًا على الأقل، وإلى الاتســـاع الجغرافي لاستعمال اللغة العربية، ولضخامة التراث المعرفي والعلمي والثقافي المدوَّن بها. إلا أن التقسيم المقترح هنا لا يأخذ في الاعتبار سوى الجدوى التي يحققها، بغض النظر عن الاعتبارات السياسية والتاريخية والفكرية وغيرها، التي دُرج على الأخذ بها في تحديد كل مرحلة من المراحل. إذ التقسيم هنا إجرائي

محض، بما أن إنجازات كل المراحل ستؤول في النهاية إلى عمل واحد، هو: المعجم التاريخي للُّغة العربية.

المرحلة الأولى

- بناء مدوّنة لغوية للقرون السبعة الأولى (من القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الأولى ومراجعته واعتماده.

سيواكب هذه المرحلة إعداد **المتطلبات الحاسوبية**، ومنها بناء البرامج والأدوات الحاسوبية الخادمة للمعجم، وهي:

- المفهرس الآلي.

- المشكل الآلي.

- المحلل الصرفي.

- الجذاذة الإلكترونية.

- المرصد.

- **المخرج**: المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الثاني للهجرة.

المرحلة الثانية

- بناء مدوَّنة لغوية للقــرون الثلاثة الموالية (من بدايــة القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الثانية ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجــم التاريخي للغــة العربية إلى نهايــة القرن الخامس للهجرة.

المرحلة الثالثة

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن الســادس إلى نهاية القرن الثامن للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الثالثة ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى نهاية القرن الثامن للهجرة.

المرحلة الرابعة

- بناء مدوَّنة لغوية للقـــرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن التاســـع إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الرابعة ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى نهاية القرن الحادي عشـــر للهجرة.

المرحلة الخامسة

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الموالية (من بداية القرن الثاني عشـــر إلى عام 1421 للهجرة الموافق لعام 2000م).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الخامسة ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى عام 1421 للهجرة، الموافق لعام 2000م.

المخرج النهائي: المعجم التاريخي للُّغة العربية.

الجدول (1-1)

الإطار الزمني لإنجاز المعجم

المرحلة	امتدادها	المدة الزمنية (بالأعوام)
الأولى	من بداية القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة	3
الثانية	من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة	3
الثالثة	من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن للهجرة	3
الرابعة	من بداية القرن التاسع إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة	3
الخامسة	من بداية القرن الثاني عشر إلى عام 1421هـ الموافق لعام 2000م	3
المدة الزمنية الكاملة		15

خاتمة

إن الهدف من هذا العرض هو رسم ملامح خطة إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية وفق المنطلقات الآتية:

1 - ينبغي ألّا يكون التأخر الكبير في إنجاز معجم تاريخي للُّغة العربية مسوغًا لإنجاز معجم دون مستوى المعاجم التاريخية للُّغات العالمية تحت وطأة هذا التأخر. والعجلة مضرة بالمشروع، خصوصًا في وضع خطة إنجازه وما يتعلق بها من تفاصيل.

2 - إن إمعان النظر في المعاجم التاريخية للُّغات العالمية يدل دلالة واضحة على تعدد الأساليب والاختيارات المنهجية في إعدادها. ومعنى ذلك أن الانحياز إلى اختيار منهجي ما ليس حكمًا على عدم صلاحية الاختيارات الأخرى.

3 - إن الانحياز إلى أحد الاختيارات المنهجية يجب أن يكون مدعومًا بجدوى هذا الاختيار، وبمدى تحقيقه أهداف المعجم فحسب، من دون أي اعتبارات أخرى. والمقصود بالجدوى، إنجاز المعجم بالصفات المثلى للمعاجم التاريخية بأنسب ما يُبذل من مجهود ووقت ومال.

4 - إن اعتماد اختيار منهجي ما في إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية لا يصادر حق أي جهة كانت في إنجاز معجم تاريخي آخر للُّغة العربية وفق اختيار منهجي آخر، مثلما حدث في بعض اللغات العالمية، كالفرنسية والألمانية والروسية وغيرها.

أخيرًا، من المفيد تبني سياسة العمل المؤسسي والتشاركي، وذلك بتخصيص مؤسسة علمية لإدارة مشروع المعجم التاريخي، والتعاقد مع مؤسسات علمية متخصصة بإنجاز أجزاء منه، والانفتاح على جميع الباحثين المتخصصين للإفادة من خبراتهم.